

## وظيفة التدريس في مدارس دمشق خلال العصرين الايوبي والمملوكي

م.د. رياض سالم عواد\*

تأريخ التقديم: ٢٠٢٠/٧/٣      تأريخ القبول: ٢٠٢٠/٧/٢٥

### ملخص

شهدت دمشق خلال سنوات حكم الايوبيين والمماليك لها ازدهاراً علمياً في أعلى مستوياته، بل أضحت هذه المدينة سراجاً أمتد سنا علومه إلى أبعد بقعة استطلت بالإسلام، وكان من مقومات هذا الازدهار العلمي أنها حوت مئات المؤسسات التعليمية إبان المدّة مدار البحث، كالمساجد التي مثّلت منابر العلم، إذ بلغ عددها زهاء (٦٢٩) مسجداً، وكذلك (٢٦) داراً للقرآن الكريم والحديث الشريف، و(١٢٧) مدرسةً فقهية، و(٣) مدارس للطب، فضلاً عن عشرات المؤسسات التعليمية الأخرى كالربط، والخوانق، والزوايا، والترب، ولا شك أن مثل هكذا عدد كبير من مراكز التعليم ضرورة أن يُغطى بعدد أكبر من المدرّسين، وهو ما أضفى أهمية قصوى لوظيفة التدريس، التي أضحت محط عناية السلطة الدمشقية وبطانتها آنذاك، ومن المقومات الأخرى التي تمتعت بها تلك المدينة أنها أنجبت واحتضنت العشرات من الأسر أو البيوتات العلمية التي توارث شيوخها وظيفة التدريس من جيل إلى آخر، ممّا ساهم في ابقاء هذه المؤسسات التعليمية قائمة وراسخة بذات الرصانة على مدى عدّة قرون ما دامت هذه الوظيفة مستمرة بيد العلماء بتقادم السنين.

### أسباب الدراسة ومنهجها:

خلال البحث في ثنايا المصادر التي تناولت التاريخ الحضاري بجانبه العلمي لدمشق، وتتبع مسار أقلام المؤرخين الذين تجولوا بين أروقته، تفصيلاً عن عشرات المراكز العلمية فيها، والخوض في سيرة حياة مدرّسيها الذين تخطّت اعدادهم المئات خلال المدّة مدار البحث، لوحظ أمراً غاية في الأهمية ألا وهو ان كل مجموعة من هؤلاء المدرّسين كانوا ينتمون لأسرة علمية واحدة تتحدر من جدٍ أعلى، ممّا دفعنا الى الغور في أصول هذه الأسر العلمية التي تبين انها كانت حريصة أشد الحرص على تقلّد علماؤها وظيفة التدريس، ليعكس ذلك مدى

\* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة كركوك .

اهمية هذه الوظيفة آنذاك، ومن ثمّ فرز دراسة خاصة عن هذه الاسر العلمية التدريسية ان صح التعبير، وهو ما حدّد المنهجية التي ستسير عليها الدراسة، حيث سيقصر العرض والنقاش فيها فقط على البيوتات العلمية التي انجبت علماء كرسوا حياتهم لوظيفة التدريس في مدارس دمشق لأجل تحقيق أهداف سنذكرها تباعاً، وهنا لا بد من التنويه أنه تمّ عرض المدرسين حسب كل أسرة على حدة، وتمّ ترتيب تسلسل عرضهم حسب أقدمهم وفاةً ضمن الأسرة الواحدة.

### أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة في اختيارها وطرحها لهذا الموضوع، وإعتمادها هذه المنهجية في البحث الى تحقيق جملة من الأهداف أهمّها :

- ٠١ بيان أهمية هذه الوظيفة وانعكاس أثرها على ازدهار الحركة العلمية بدمشق .
- ٠٢ التعريف بأشهر الأسر أو البيوتات العلمية التدريسية الدمشقية الأصل، أو الاسر العلمية التي رحلت إلى دمشق فنُسبت إليها .
- ٠٣ إظهار حجم الازدهار الحضاري الذي شهدته مدينة دمشق لاسيما في المجال العلمي، بعد احتضانها لعددٍ كبيرٍ من المؤسسات التعليمية التي استقبلت الكثير من المدرّسين والطلبة من مختلف بلدان العالم الاسلامي آنذاك .
- ٠٤ التعرف على أعلام المشايخ في دمشق وإسهاماتهم الدينية والإدارية والعلمية فيها.

### المقدمة :

كانت وظيفة التدريس في مقدّمة الوظائف المعتمدة في دمشق، حتى إنّها تعتبر العامل المشترك بين أغلبية الوظائف التي تستند عليها النظم الدينية والسياسية والإدارية والعلمية لتلك المدينة، حيث كان القاضي، والمحتسب، ومفتي دار العدل، والوزير، ونقيب الأشراف، ووكيل بيت المال، وكاتب ديوان الإنشاء، والناظر، هو مدرّساً في ذات الوقت، أو بديهيّاً نجد أن صاحب هذه الوظائف قد تخرج من تحت يد شيخه المدرس ليكون مؤهّلاً للتدريس، ولعظيم أهمية وظيفة التدريس في دمشق أكّد بعض واقفي المؤسسات التعليمية فيها على حصر التدريس في وقفهم باسم شيخ معين لمكانته العلمية الكبيرة، ومن ثمّ الإبقاء على وظيفته داخل عائلته، فكان ذلك سبباً مباشراً في بقاء هذه الوظيفة داخل عائلة واحدة، وفي نفس الوقت حرصت كثير من بيوتات دمشق العلمية على بقاء وظيفة التدريس داخلها لعدّة قرون، فتوارثها

أفراد الاسرة من الاب الى بعض من الابناء والأحفاد، كما سجّلت المصادر التاريخية شواهداً كثيرة على توارث الأسر العلمية وظيفية التدريس بحسب التخصص العلمي، فظهرت أسر علمية اقتصت بتدريس علوم القرآن الكريم، أو علوم الحديث الشريف، أو تدريس فقهاً معيناً، أو الطب، كما تنافست الكثير من العوائل العلمية على مسك وظيفة التدريس داخل المدرسة الواحدة، ممّا أدى الى تواجد مدرسين أكثر من بيت علمي في تلك المدرسة، أو تدريس الأسرة العلمية في أكثر من مدرسة، ممّا يظهر لنا ذلك اهمية هذه الوظيفة وقتذاك .

وعليه فإن الدراسة قد انتظمت في اربعة مباحث تناول المبحث الأول منها مراتب ووظيفة التدريس في المؤسسات التعليمية الدمشقية كالمدرّس، ونائب المدرّس، والمعيد، مع بيان شواهد منتقاة حول اشهر من تولّى هذه المراتب من علماء الاسر العلمية آنذاك، أمّا المبحث الثاني فإنه عرض أمثلة عن الأسر العلمية التي اشتهرت بتدريس علماء معيناً، بينما ناقش المبحث الثالث أثر واقف المؤسسة التعليمية في تعيين متقلّدي هذه الوظيفة داخل الاسرة الواحدة، في حين طرح المبحث الرابع صور تنافس الاسر العلمية على وظيفة التدريس داخل المدارس الدمشقية ، ثم أختتمت الدراسة بجملّة من النتائج المستخلصة منها .

### المبحث الأول : مراتب ووظيفة التدريس:

كانت وظيفة التدريس في المؤسسات التعليمية الدمشقية تنقسم إلى مراتب أو عناوين متسلسلة في ترتيبها أعلاها مرتبة المدرّس ثمّ يليه نائبه، ثمّ مرتبة المعيد، وكل واحدة من هذه المراتب او العناوين قد اشتهرت بها البيوتات العلمية في دمشق وهي :

#### أولاً - المدرّس:

أعلى مراتب مهنة التدريس، ولأهميتها أوردت لنا المصادر التاريخية العديد من الشواهد التي بيّنت بقاء هذه الوظيفة بيد اسر علمية معروفة داخل مدارس دمشق منها:

٠١ اسرة الشيخ المقرئ الفقيه اللغوي الاديب قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز محمد الأذرعي الدمشقي (ت٦٧٧هـ / ١٢٧٨م)، من الاسر العلمية الكبيرة في دمشق، ذات الرئاسة والعراقة، أصلها من أذرعات في بلاد الشام، تولّى شيوخها وظيفة التدريس بصفة مدرّس في المؤسسات التعليمية الدمشقية، منهم شيخ الحنفية وعالمهم صدر الدين سليمان،

وهو من المقرّبين للملك الظاهر بيبرس، فعينه قاضياً للقضاة في القاهرة، ثم عاد الى دمشق قاضياً عليها أيضاً، تولّى وظيفة التصدير بالجامع الأموي، أما عمله برتبة مدرّس في دمشق، فإنه أوّل من أمثّل لها في المدرسة الظاهرية الجوانية، فضلاً عن المدارس الاخرى وهي المدرسة المقدّمية الجوانية، والقيمازية، والعدراوية<sup>(١)</sup>.

ثم استلم عنه وظيفة التدريس برتبة مدرّس ابنه الشيخ الفقيه تقي الدين أحمد بن سليمان الأذرعي الدمشقي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، حيث عمل بها في المدرسة المقدّمية الجوانية، والقليجية، والشبلية، كان فاضلاً، أخذ فقهه عن أبيه وأعيان الفقه بدمشق، فتصدّر للإفتاء والتدريس زمناً طويلاً، فأنتفع به طلبة العلم<sup>(٢)</sup>.

وتولاها أيضاً أخوه الامام العلامة المفتي شمس الدين محمد بن سليمان الأذرعي الدمشقي (ت ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م)، كان من أعلام الفقه، قليل المخالطة، أنشغل بالإفتاء والتدريس لأكثر من ثلاثين سنة، فعمل برتبة مدرّس في المدرسة النورية الكبرى، والمقدّمية الجوانية بدمشق، فضلاً عن تولّيه نيابة القضاء فيها عن والده صدر الدين سليمان<sup>(٣)</sup>.

وممن تقلّد منهم رتبة المدرّس الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الأذرعي الدمشقي (ت ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م)، أحد أئمة الحنفية وفضلائهم، صاحب برّ وإحسان، خطب بجامع الافرم بدمشق، وناب في القضاء عشرين سنة، وحُمدت سيرته فيه لسدادة أحكامه، واشتغل بمهنة التدريس كمدرّس في المدرسة المعظّمية، والقليجية، واليغمورية والظاهرية الجوانية، فضلاً عن تولّيه نظرها<sup>(٤)</sup>.

(١) النعيمي، عبد القادر بن محمد النعيمي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م)، الدارس في تاريخ المدارس، تح:

إبراهيم شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٠م): ١ / ٤١٨، ٤٢٢، ٤٥٨ .

(٢) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)،

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي تح: محمد محمد أمين، (مصر: د.ت): ١ / ٣١٠؛ النعيمي،

الدارس: ١ / ٤٣٨، ٤٥٨ .

(٣) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام، تح: بشار

عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي (د. م : ٢٠٠٢م): ١٥ / ٩٣١؛ النعيمي، الدارس: ١ / ٤٥٨ .

(٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تح: عبد الله

بن عبد المحسن التركي، ط ١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان (د.م: ١٩٩٧م): ١٨ /

وتولّى بعده ابنه الشيخ القاضي علاء الدين علي بن محمد بن محمد الأذري دمشقي (ت ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م) تدريس المعظمية والقليجية برتبة مدرّس، فضلاً عن اعتلاءه منبر جامع الافرم خطيباً، وتقلّده نيابة القضاء بدمشق، وبهذا يلاحظ أنه اخذ عن أبيه معظم وظائفه إلى جانب وظيفة التدريس<sup>(١)</sup>.

ثم اشتغل بعده بمهنة التدريس أخيه الشيخ المعمر الفقيه اللغوي عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد الأذري دمشقي (ت ٧٨٣هـ / ١٣٨١م)، قاضي القضاة بدمشق، الذي جمع بين العلم والعمل، فدرّس بعدة مدارس دمشقية منها المدرسة القصاعية برتبة مدرّس<sup>(٢)</sup>.

ومنهم الشيخ الفقيه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمود بن أحمد دمشقي (ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م)، انتهت إليه رئاسة المذهب في عصره، وكان قوي النفس شهماً، حافظاً لكثير من الأحكام، وأسند إليه منصب قاضي القضاة الحنفي بدمشق، وكذلك نظر الجيش، كما عرضت عليه وظيفة كتابة السرّ فأعذر، وقد تولّى وظيفة التدريس برتبة مدرّس في أهم المدارس الدمشقية وهي المدرسة الظاهرية الجوانية، والخاتونيتين البرانية والجوانية، والقصاعية، والنورية الكبرى، والصادرية<sup>(٣)</sup>.

ثم استلم عنه أبنه الشيخ الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد بن محمود الأذري دمشقي (ت ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) وظيفة التدريس برتبة مدرّس في المدرسة الخاتونية الجوانية، فضلاً عن توليه منصب قضاء القضاة بدمشق بعد أبيه الشهاب أحمد شيخه في الفقه<sup>(٤)</sup>.

٠٢ اسرة الشيخ المحدث الفقيه شهاب الدين أحمد بن علي دمشقي (ت ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م)، وهي

(١) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان

المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد:

١٩٧٢م): ٤ / ١٤١؛ النعيمي، الدارس: ١ / ٤٣٩، ٤٥٠.

(٢) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: محمد عبد المعيد خان، ط٢، دار الكتب العلمية

(بيروت: ١٩٨٦م): ١ / ٢٤٣؛ النعيمي، الدارس: ١ / ٤٣٦.

(٣) النعيمي، الدارس: ١ / ٤٨٤)

(٤) السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) الضوء اللامع لأهل

القرن التاسع، دار مكتبة الحياة (بيروت: د. ت): ٧ / ١٠٦؛ النعيمي، الدارس: ١ / ٣٩٦.

أسرة علمية دمشقية الأصل، توارث علماؤها وظيفة التدريس برتبة مدرّس في مدارس دمشق، ومنهم الشيخ الشهاب أحمد شيخ الأحناف بدمشق، كان فاضلاً ديناً بارعاً بالمذهب، وعمل مدرّساً في مدرسة المقصورة الحنفية بالجامع الاموي<sup>(١)</sup>.

وكذلك أخوه الشيخ برهان الدين ابو اسحق ابراهيم بن علي الدمشقي (ت ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م)، طلب علوم الحديث والفقه والعربية، فحدّث وبرع في المذهب، وذهب الى مصر متولياً قضاءها لمدة عشر سنين، ثم عاد إلى دمشق ليعمل مدرّساً في المدرستين العذراوية والخاتونية<sup>(٢)</sup>.

ثم أخذ عنه ابنه الشيخ الفقيه أمين الدين محمد بن ابراهيم الدمشقي (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، وظيفة التدريس بمرتبة مدرّس في العذراوية والخاتونية، وهو من أعيان الدماشقة وصدورهم، أوكلت له المناصب الجليلة بدمشق وهي الحسبة ونظر المسجد الاموي<sup>(٣)</sup>.

ومنهم الشيخ المحدث كمال الدين ابو العباس أحمد بن علي الدمشقي (ت ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م)، الذي عمل برتبة مدرّس في المدرسة العلمية بدمشق<sup>(٤)</sup>.

#### ثانياً - نائب المدرّس :

وهي بمنزلة رتبة المدرّس علمياً ودونها وظيفياً، وذلك لأن متولّيها يتم تعيينه مدرّساً بديلاً ينوب عن المدرّس الأصيل في حال غيابه عن المدرسة لعذر ما، وقد تقلّد شيوخ الاسر العلمية بدمشق هذه الوظيفة منها اسرة الشيخ المحدث الفقيه جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن محمد بن قاضي شهبة الدمشقي (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م)، وهي أسرة علمية دمشقية مشهورة، وردت أسماء علماؤها في الكثير من قوائم المدرّسين بمدارس دمشق، منها أنهم تصدّوا للتدريس بصفة نائب مدرّس تعويضاً عن الفراغ الذي يحدثه غياب المدرّس الأصيل في تلك المدرسة، فمن علماء هذه الاسرة الذين تولّوا هذه المرتبة الشيخ جمال الدين، كان ديناً خيراً، منجمعاً عن الناس، حسن الشكل، سمع الحديث الشريف في دمشق، وأخذ الفقه عن أبيه ومشايخ عصره،

(١) ابن كثير، البداية: ١٨/ ٣٩٥؛ النعمي، الدارس: ١/ ٤٦٦ .

(٢) ابن حجر العسقلاني، الدرر: ١/ ٥١ .

(٣) ابن حجر العسقلاني، إنباء: ١/ ٨٩ .

(٤) النعمي، الدارس: ١/ ٤٢٩ .

كما تولّى الوظائف الجليلة الأخرى بدمشق وهي وظيفة تصدير الجامع الاموي<sup>(١)</sup>، ونيابة القضاء، فضلاً عن تدريسه بمرتبة نائب مدرّس في المدرسة المجاهدية الجوانية<sup>(٢)</sup>.  
وتقلّد بعده ابن أخيه نيابة التدريس أيضاً وهو الشيخ المفسّر الخطيب قاضي القضاة بدمشق تقيّ الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد دمشقي (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م)، أشهر رجال بيته، برع في الفقه فساد به بلاد الشام، كما حدّث ببيت المقدس ودمشق، تميّز بحدّة الذكاء، وفصاحة اللسان، والديانة، وطيب الخلق، حافظاً لتواريخ الرجال وأخبار البلاد، من تصانيفه الشهيرة كتاب (تاريخ ابن قاضي شهبة)، و(طبقات الشافعية)، (كفاية المحتاج)، فضلاً عن شرحه كتاب (التبهي) في الفقه، أمّا دوره في التدريس بدمشق، فإنه درّس في سنة (٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) بصفة نائب مدرّس في المدرسة الشامية البرانية، وكذلك في المدرستين الشامية والظاهرية الجوانيتين نيابة عن الشيخ الخطيب بهاء الدين محمد بن عمر بن حجي الحسيني (ت ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م)، وكذلك درّس برتبة نائب مدرس سنة (٨٣٨هـ / ١٤٣٤م) في المدرسة الشامية الجوانية نيابة عن الشيخ المحدّث اللغوي كاتب السر بدمشق ومصر قاضي القضاة كمال الدين ابو المعالي محمد بن محمد بن البارزي (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م)، ولو أمعنا النظر في المدة الممتدة بين السنتين اللتين درّس فيهما التقي ابن قاضي شهبة بصفة نائب مدرّس، نلاحظ أن نيابة التدريس هي بمنزلة المدرّس ولا علاقة لتقدّم السنين بترقّي المدرس من نائب مدرّس إلى مدرّس أصيل، والشاهد على ذلك أن التقي كانت له تداريس بمرتبة مدرّس لا نائب مدرّس في مدارس أخرى بذات الوقت كالمدرسة المسروية، والمجاهدية، والناصرية، والأمجدية، والركنية، والعذراوية، والطبرية، والأمينية، والتقوية، والاقبالية<sup>(٣)</sup>.

(١) التصدير: وظيفة دينية موضوعها الجلوس بصدر المجلس في الجامع أو نحوه، ويجلس المتكلم

أمامه على كرسي، وكأنه يقرأ عليه فيفتح بالتفسير وغيره، فعندما ينتهي من كلامه ويسكت، يأخذ المتصدّر في الكلام على ما هو في معنى تفسير الآية التي يقع عليها الكلام ويستدرج من ذلك إلى ما سنح له، ينظر: الفلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: يوسف علي طويل، دار الفكر (دمشق: ١٩٨٧م): ٢٤٧ / ١١.

(٢) ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م)، طبقات الشافعية، عالم الكتب (بيروت: ١٩٨٦م): ١٨٣ / ٣.

(٣) السخاوي، الضوء: ١١ / ٢١؛ النعيمي، الدارس: ١ / ١١٢، ٢٣٤، ٣٢٣.

ثم أخذ عنه تداريسه ومنها نيابة التدريس أبنه الشيخ المسند المفسر المؤرخ بدر الدين أبو الفضل محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)، تتلمذ على والده التقي فأخذ عنه الحديث الشريف والفقه، وبرع فيهما، كما تعاطى الاقراء فانفتح به الطلبة، وقد تولى وظيفة التدريس بمرتبة نائب مدرّس في المدرسة الشامية البرانية نيابة عن الشيخ الخطيب بهاء الدين أبي البقاء محمد بن عمر بن حجي الحسباني (ت ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م)، وابنه الشيخ المحدث نجم الدين ابو زكريا يحيى بن عمر بن حجي الحسباني (ت ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م)<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً - المعيد :

وهي من مراتب وظيفة التدريس منزلة متوليها العلمية والوظيفية دون منزلة المدرّس ونائبه، والمعيد لغة من الإعادة، ومهمّة متقلّدها إعادة درس الذي ألقاه المدرّس على الطلبة زيادة في الفهم<sup>(٢)</sup>، وقد اشتهرت العديد من الاسر العلمية بهذه المرتبة منها:

١٠ اسرة الشيخ العلامة المسند الفقيه الاديب تاج الدّين عبد الرحمن بن ابراهيم الفزاري الدمشقي (ت ٦٩٠هـ / ١٢٩١م)، وهي اسرة علمية دمشقية أصلها من مصر، أعاد علماؤها في مدارس دمشق منهم الشيخ تاج الدّين عبد الرحمن، تعانى الفقه منذ نعومة أظفاره، وما ان شبّ حتى برع في المذهب فغدى فقيه الشام، ومن خصاله كان كريماً حد الإفراط، معظماً في نفوس الخلق، له تواضع ولطافة، ترك أثراً ملموساً في النثر والنظم، أشهر كتبه (التاريخ)، وشرح (التنبيه)، و(الافليد)، إمّا دوره في التدريس فإنه تولى تدريس المدرسة الناصرية بمرتبة معيد بُعيد إنشاؤها في دمشق<sup>(٣)</sup>.

وتولّى الاعادة أيضاً ابنه الشيخ المحدث المؤرخ الشاعر النحوي برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن الفزاري الدمشقي (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م)، تفقّه واخذ العربية عن أبيه وغيره حتى أتقنهما، وتوقّفت عنده رئاسة المذهب، ومن تصانيفه تعاليق على كتابي (التنبيه)، و(مختصر

(١) السخاوي، الضوء : ١٥٥ / ٧، ١٠ / ٢٥٢؛ النعيمي، الدارس: ١ / ٢٢٣ .

(٢) تاج الدين السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠م)، معيد النعم ومبيد

النقم، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت: ١٩٨٦م): ص ١٠٨ .

(٣) النعيمي، الدارس: ١ / ٨٠؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (ت ١٣٩٦هـ) الأعلام، ط١٥،

دار العلم للملايين (د.م: ٢٠٠٢م): ٣ / ٢٩٣ .



ابن الحاجب)، وألف أيضاً كتاب (الاعلام بفضائل الشام)، و(باعث النفوس) وغيرها، وقد درّس في المدرسة البادرانية بصفة معيد عن والده المدرّس الاصيل فيها، ووُصف في درسه أنه كان طويل النفس فيه، فصيح اللسان، عذب العبارات، يوردها كأنما يقرأ الفاتحة، متودّداً الى طلبته، مثنياً عليهم<sup>(١)</sup>.

٢٠ أسرة الشيخ المسند الفقيه جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن ابراهيم بن جملة دمشقي (ت ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م)، وهي أسرة علمية دمشقية من قرية المحجة بحوران، تولّى بعض علماءها وظيفة التدريس بصفة معيد منهم الشيخ جمال الدين يوسف، كان عالماً دينياً ماهراً في الفقه ذا حرمة وتودّد الى الناس، حدّث في المدينة المنورة ودمشق، ونُصّب قاضياً للقضاء، وتولّى وظيفة التدريس كمعيد في المدرسة القيمرية<sup>(٢)</sup>.

وأخذ عنه ابن أخيه الشيخ المحدث الخطيب جمال الدين ابو التثاء محمود بن محمد بن ابراهيم الدمشقي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، تدرّس القيمرية إعادة بعد أن تنازل له عمه عنها، وقد كان الشيخ جمال الدين محمود فاضلاً بارعاً في الفقه ذاعت فتاويه في الاوساط، ألف كتاب (الوقاية الموضحة لشرف المصطفى)، وأوكلت له أيضاً خطابة وتصدير المسجد الأموي، فضلاً عن نيابة القضاء عن عمّه الجمال يوسف<sup>(٣)</sup>.

ومما سبق أعلاه كان عرضاً مقتضباً لمراتب مهنة التدريس، مشفوعاً بنماذجٍ منتقاةٍ عن تقلّد شيوخ بيوتات دمشق العلمية لهذه المراتب داخل المدارس الدمشقية، وهو غييض من فيض لما بقي من الشواهد التي تعدّر عرضها.

### المبحث الثاني: وظيفة التدريس حسب التخصص العلمي :

انشأت كثير من المدارس في دمشق لتدريس مختلف العلوم، ولكن عند انشائها تمّ تحديد نوع العلوم التي سوف تدرّس فيها، حيث اقيمت بعض المدارس لأجل تدريس علوم القرآن

(١) الذهبي، العبر في خبر من غير، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية

(بيروت: د.ت): ٤ / ٨٥؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر: ١ / ٣٦ .

(٢) ابن قاضي شهبه، طبقات: ٢ / ٣٠١؛ النعيمي، الدارس: ١ / ٢٧٧ .

(٣) ابن قاضي شهبه، طبقات: ٣ / ١٣٧ .

الكريم، وبعضها الآخر انشأت لتدريس علوم الحديث الشريف، في حين وقفت مدارساً غيرها لتدريس علوم الفقه، بل تعدى الأمر الى حصر وظيفة هذه المدارس الفقهية بتدريس فرع معين من فروع الفقه، كمدارس تدريس الفقه الشافعي، أو مدارس تدريس الفقه الحنفي وغيرها، وبالمقابل انعكس هذا التطور في العملية التعليمية على طبيعة وظيفة التدريس آنذاك، إذ لا بد أن يكون المدرّس الذي يُعيّن في هذه المدارس أن يتخصّص بتدريس العلم الذي انشأت لأجله تلك المدرسة، وهو ما يحاكي وظيفة التدريس في عصرنا الحاضر، فإذا اريد تعيين مدرّساً ما بوظيفة التدريس يجب أن يُنظر إلى تخصصه العلمي الذي سوف يختص بتدريسه عند تقلّده هذه الوظيفة، وبالعودة الى حال وظيفة التدريس وتطورها في دمشق إبان السنوات محور البحث، نلاحظ أنّ العديد من الاسر العلمية التدريسية قد اختصت بتدريس علماً معيناً، مواكبة منها للتطور الذي طرأ على وظيفة التدريس حينذاك، ممّا أدى إلى ظهور اسر علمية دمشقية أختصت بتدريس علوم القرآن الكريم، وأخرى اختصت بتدريس الحديث الشريف، بينما أختصت اسر غيرها بتدريس الفقه بحسب مذاهبه، وغيرها من التخصصات العلمية، ومن أمثلة الاسر العلمية التي تقلد علمائها وظيفة التدريس بحسب التخصص العلمي هي :

#### أولاً: علم الإقراء:

وهو أحد أبرز علوم القرآن الكريم، إذ نال العناية المستحقّة من قبل الاسر العلمية الدمشقية، فحرصت على تدريس هذا العلم كأسرة الشيخ المقرئ أحمد بن عبد الله البغدادي الأصل الدمشقي (ت ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م)، وهي الاسرة التي جدّ شيوخها بطلب علم الإقراء وتدريسه للطلبة في دمشق، مجسّدة بالشيخ أحمد المكنّي بأبي البركات، كان من فضلاء المقرئين الدماشقة، محمود السيرة في درسه والأخذ عنه<sup>(١)</sup>.

ثمّ أخذ عنه وظيفة تدريس علم الإقراء بدمشق أبنة الشيخ المقرئ هبة الله بن أحمد بن عبد الله البغدادي الدمشقي (ت ٥٣٦هـ / ١١٤١م)، وقد كان خير خلف لخير سلف، ملأ الفراغ الذي أحدثه غياب ابيه في تدريس علم الإقراء وبكل جدارة لدرجة أنه عُيّن مقرئاً للمسجد

(١) المصنعي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، مصباح الأريب في تقريب الرواة الذين ليسوا في تقريب

التهديب، ط١، مكتبة صنعاء الأثرية (اليمن: ٢٠٠٥م): ١ / ١٠٤ .

الأموي، وكان من العدول الثقات المحققين، تخرّج على يده خلق كثير في علم الاقراء بدمشق<sup>(١)</sup>.

ثم تولى بعده وظيفة تدريس علم الاقراء حاذياً حذوه أبه الشيخ المقرئ ابو طالب الخضر بن هبة الله بن أحمد بن عبد الله البغدادي الدمشقي (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م)، وقد درّس علم الاقراء بعد ابيه في دمشق وكذلك في بغداد<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: علوم الحديث الشريف :

اختصت العديد من بيوتات دمشق العلمية بتدريس علوم الحديث الشريف، وحرصت على الاحتفاظ بوظيفة تدريسه في المدارس الدمشقية، فمن هذه البيوتات بيت الشيخ المحدث ابي عمر بن قدامة المقدسي الاصل الدمشقي (ت ٦٠٧هـ / ٢١٠م)، أشهر بيوتات الحديث الشريف بدمشق، إذ أختصّ شيوخه بتدريس هذا العلم في مدارس دمشق العريقة كدار الحديث الاشرافية البرانية، وهم:

الشيخ المحدث شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر محمد المقدسي الدمشقي (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، أول من درّس في الدار بعد وقفه، تتلمذ على يد أبيه محمد وعمّه موفق الدين، كان ظريف المجالسة، بشوشاً محبوباً، مجلسه عامراً بالمحدثين وأهل الدين، وهو أول من تولى قضاء الحنابلة بدمشق مكرهاً<sup>(٣)</sup>.

ثم استلم عنه وظيفة تدريس ومشيخة الحديث الشريف في الدار المذكورة ابن اخيه الشيخ المحدث ابو الفضل الحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الدمشقي (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م)، كان حسن الهيئة، صاحب قامة، لطيف، خلوق، ذا سيادة ومروءة، تولى قضاء

(١) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تح: احمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت: ٢٠٠٠م): ١٣ / ٢٠٣؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرنؤوط، ط١، دار ابن كثير (دمشق: ١٩٨٦م): ٦ / ١٨٧ .

(٢) الصفدي، الوافي: ١٣ / ٢٠٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٦ / ٤٣٠ .

(٣) الذهبي، تاريخ: ١٥ / ٤٦٩؛ النعيمي، الدارس: ١ / ٣٨ .

الحنابلة بدمشق، فحسنت سيرته في الاحكام<sup>(١)</sup>.

وكذلك أختصَّ الشيخ المحدث قاضي القضاة تقي الدين ابو الفضل سليمان بن حمزة بن أبي عمر المقدسي الدمشقي (ت ٧١٥هـ / ١٣١٥م) بتدريس الحديث في الاشرافية البرزانية، وإنه وُصف بالديانة والتواضع، وسعة الرواية، وببراعة المذهب، فأفتى خمسين سنة، وحكم قاضياً بدمشق عشرين سنة، أما درسه في الاشرافية فقد كان محموداً جيداً ليراد له<sup>(٢)</sup>.

ثم تولى بعده وظيفة تدريس الحديث الشريف في الدار الاشرافية أبنة الشيخ المحدث عز الدين محمد بن سليمان بن أبي عمر المقدسي الدمشقي (ت ٧٣١هـ / ١٣٣٠م)<sup>(٣)</sup>.  
ثم انتقلت من بعده لأبنة الشيخ بدر الدين الحسن بن محمد بن أبي عمر المقدسي الدمشقي (ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م)، نائب القضاء بدمشق<sup>(٤)</sup>.

### ثالثاً: علم الفقه ومذاهبه :

اشتهرت مدينة دمشق بكثرة المدارس الفقهية المقامة فيها خلال المدة محور الدراسة، إذ بلغ عددها نحو (٦٠) مدرسة شافعية، و(٥٢) مدرسة حنفية، و(١١) مدرسة حنبلية، و(٤) مدارس مالكية، وبالتالي لا بد من وجود كادر تدريسي متخصص في مجال كل فرع من فروع الفقه لتغطية هذا العدد من المدارس، لذلك زخرت المدينة بأعداد كبيرة من الاسر العلمية التي اختلفت بتدريس الفقه بحسب المذاهب المذكورة، فمن هذه الاسر التي تولت وظيفة تدريس فروع الفقه في المدارس الفقهية الدمشقية :

#### ١ . الفقه الشافعي :

- اسرة الشيخ الفقيه شهاب الدين ابو العباس أحمد بن صالح البقاعي الزهري الدمشقي الشافعي (ت ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م)، وهي اسرة شامية من البقاع بين بعلبك وحمص، قريبة من

(١) الصفدي، الوافي: ١٢ / ٥٩.

(٢) النعيمي، الدارس: ١ / ٤٠.

(٣) النعيمي، الدارس: ١ / ٤١.

(٤) ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد (ت ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م) المقصد الارشد، تح: عبد الرحمن بن

سليمان العثيمين، مكتبة الرشد (الرياض: ١٩٩٠م): ١ / ٣٣٥.

دمشق<sup>(١)</sup>، اختصّ علماؤها بتدريس علم الفقه على المذهب الشافعي في المدرسة العادلية الصغرى الشافعية منهم الشيخ شهاب الدين أحمد المذكور، والذي جدّ في طلب الفقه بدمشق، حتى مهر به، وغدا شيخ الشافعية بدمشق، ومدّرس هذا المذهب في مدارس دمشق الشافعية كالمدرسة العادلية الصغرى، والعصرونية وغيرها، وذاع صيته في الافتاء فُعِين في منصب مفتي دار العدل بدمشق، وتولّى أيضاً نيابة القضاء، ثم أسّقل به قاضياً للقضاة الشافعية، ومن خصاله الحميدة أنه كان كثير التلاوة، عابداً، مقتصداً في معاشه، ذا هيبة ورياسة<sup>(٢)</sup>.

وكذلك تولّى تدريس الفقه وفق المذهب الشافعي ابنه الشيخ الفقيه تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن أحمد بن الزهري الدمشقي الشافعي (ت ٨٢٤هـ / ١٤٢١م)، تفقّه على والده، وصار سيّد فقهاء عصره، وأثنوا عليه فاختر لمرصب افتاء دار العدل بدمشق، ثمّ ناب في القضاء الشافعي مدّة طويلة، فباشر في وظيفته هذه خير مباشرة، ثمّ تفرّغ بعد ذلك للإفتاء في الشبّاك الكمالي بجامع بني أمية، ومن صفاته كان حسن التدبير والرأي، هادئاً، محتشماً، كثير الأدب، طاهر اللسان، أمّا تدريسه للفقه الشافعي، فقد درّسه في حياة أبيه في المدرسة العادلية الصغرى<sup>(٣)</sup>.

وأخذ عنه تدريس الفقه الشافعي ابنه الشيخ الفقيه شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد الزهري الدمشقي الشافعي (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) في العادلية الصغرى، وقد اسندت إليه وظيفة قضاء العسكر بدمشق<sup>(٤)</sup>.

وشاركة أيضاً في تدريس الفقه الشافعي في العادلية الصغرى أخوه الشيخ الفقيه جلال الدين محمد بن عبد الوهاب بن أحمد الزهري الدمشقي الشافعي، كان صاحب ذكاء، قرأ التمييز وجمع الجوامع في الفقه<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن عبد الحق، صفّي الدين عبد المؤمن القطيعي (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)، مرصد الاطلاع على

اسماء الامكنة والبقاع، ط١، دار الجيل (بيروت: ١٩٩١م): ١ / ٢١١ .

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٥٧٧ / ٨ .

(٣) ابن حجر العسقلاني، انباء: ٢٦٠ / ٣ .

(٤) السخاوي، الضوء: ٣٧٥ / ١ .

(٥) النعيمي، الدارس: ٢٨١ / ١ .

## ٠٢ . الفقه الحنفي :

• اسرة الشيخ الفقيه عزيز الدين ونور الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الكرم عبد الرحمن السنجاري الدمشقي الحنفي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٨٤م)، وهي اسرة علمية دمشقية أصلها من سنجار في اقليم الجزيرة الفراتية، ساهم علماؤها في تدريس الفقه الحنفي في مدارس دمشق الحنفية كالمدرسة الفرخشاهية، منهم الشيخ العز محمد سيّد الأسرة، وُلد ونشأ بسنجار، ثم رحل إلى الموصل طالباً للعلم، ومنها إلى حلب مدرساً سنة (٥٨٩هـ / ١١٩٣م)، ثم انتقل إلى دمشق التي تولّى فيها تدريس الفقه الحنفي في المدرسة الفرخشاهية، وكذلك أوكل له منصب نائب القاضي الحنفي بدمشق سنة (٦١٧هـ / ١٢٢٠م)<sup>(١)</sup>، وقد حرص الشيخ العز السنجاري على توريث علومه لأولاده ومنها الفقه الحنفي، حيث تولّوا تدريسه من بعده في المدرسة الفرخشاهية وهم :

الشيخ الفقيه كمال الدين أبو الفضائل عبد اللطيف بن محمد السنجاري الدمشقي الحنفي (ت ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م)، تولّى تدريس الفقه الحنفي في المدرسة الفرخشاهية في حياة والده، واستمر بها مدرساً إلى حين تنازله عنها لأخيه الشيخ الفقيه عماد الدين عبد الرحيم بن محمد السنجاري الحنفي، الذي درّس فيها الفقه الحنفي حتى وفاته سنة (٦٦٩هـ / ١٢٧٠م)<sup>(٢)</sup>.  
ثم تولّى من بعده تدرّس الفقه فيها أخوهم الثالث الشيخ الفقيه تاج الدين ابو المعالي وأبو محمد عبد القادر بن محمد السنجاري الحنفي الدمشقي (ت ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م)، جدّ في طلب الفقه حتى مهر فيه، وكذلك تعانى الحديث الشريف فسمع وحدّث، تولّى قضاء الحنفية بحلب، ثم عاد إلى دمشق متولياً نظر أوقافها، وتدرّس الفقه الشافعي في المدرسة الفرخشاهية بعد أخيه الكمال عبد اللطيف، ليستمّر بها حتى سنة (٦٧٤هـ / ١٢٧٥م) حيث عاد الى حلب مثواه الاخير<sup>(٣)</sup>.

## ٠٣ . الفقه الحنبلي :

- 
- (١) القرشي، محيي الدين عبد القادر بن محمد (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه (كراتشي: د.ت): ٢ / ٧٧؛ النعيمي، الدارس: ١ / ٤٣٢.  
(٢) النعيمي، الدارس: ١ / ٤٣٢.  
(٣) ابن تغري بردي، المنهل: ٧ / ٣٢٣؛ النعيمي، الدارس: ١ / ٤٣٢ .

• اسرة الشيخ الفقيه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قِيم الجوزية الدمشقي الحنبلي (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م)، وهي اسرة علمية عريقة أصلها من بلد زرع من أعمال دمشق، أشتهر شيوخها بتدريس الفقه على المذهب الحنبلي في مدارس دمشق الحنبلية كالمدرسة الصدرية، منهم الشيخ الشمس محمد المذكور، العالمة الموسوعي المعرفة، كان رأساً في الفقه، فضلاً عن علم الحديث الشريف والتفسير وغيرها، معظماً لدى الفضلاء، ألف كتباً كثيرة جداً في مختلف العلوم، منها (القصيدة التونية في السنة)، و(نزهة المشتاقين وروضة المحبين)، و(الداء والدواء)، و(مفتاح دار السعادة)، و(مصايد الشيطان)، و(الطرق الحكيمة)، و(أمثال القرآن)، و(شرح الأسماء الحسنى)، و(إيمان القرآن)، و(المسائل الطرابلسية) وغيرها الكثير، وتصدّر للإفتاء والتدريس على الفقه الحنبلي فتخرج عليه العديد من الطلبة لاسيما في المدرسة الصدرية<sup>(١)</sup>، ثم أخذ عنه أربعاً من شيوخ اسرته تدريس الفقه في المدرسة الحنبلية وهم:

الشيخ الفقيه جمال الدين عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن قِيم الجوزية الدمشقي الحنبلي (ت ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) ابن الشيخ الشمس محمد، كان حاذقاً مناظراً، اعجوبة زمانه في العلوم، تولّى خطابة الجامع الخليخاني بدمشق<sup>(٢)</sup>.

وكذلك الشيخ الفقيه برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن قِيم الجوزية الدمشقي الحنبلي (ت ٧٦٧هـ / ١٣٥٦م) اخو الفقيه جمال الدين عبد الله، اخذ الفقه عن والده الشمس، وشارك في علوم اللغة العربية، شرح ألفية ابن مالك في كتاب سماه (إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك)، تولّى تصدير الجامع الأموي، وورث عن اخو الجمال خطابة الجامع الخليخاني، فضلاً عن تدريس الفقه الحنبلي في المدرسة الصدرية<sup>(٣)</sup>.

والشيخ الفقيه زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بن أيوب بن قِيم الجوزية الدمشقي الحنبلي (ت ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) عم الشيخ برهان الدين إبراهيم، كانت له عناية بعلم الحديث الشريف، واهتم أيضاً بعلم الفقه فدّرسه وفق المذهب الحنبلي في المدرسة الصدرية<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٢٨٧ / ٨ .

(٢) ابن مفلح، المقصد: ٥٧ / ٢ .

(٣) ابن مفلح، المقصد: ٢٣٥ / ١ .

(٤) النعيمي، الدارس: ٧٠ / ٢ .

والشيخ الفقيه عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن قَيِّم الجوزية الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٩هـ / ١٣٦٩م) ابن الفقيه زين الدين عبد الرحمن، كان رجلاً حسناً فاضلاً ، أمتلك كتباً قيّمة ورثها عن عمّه الشيخ المصنّف شمس الدين محمد، ولا يبخل باعارتها، وكان يخطب بالجامع الخليخاني باكياً، وأخذ عن أبيه الزين عبد الرحمن وظيفة تدريس الفقه في المدرسة الصادرية الحنبلية<sup>(١)</sup>.

#### ٤ . الفقه المالكي :

• اسرة الشيخ الفقيه زين الدين ابو محمد عبد السلام بن علي بن سيد الناس الزواوي الدمشقي المالكي (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وهي أسرة علمية دمشقية مغربية الأصل، أختصّ علماءها بتدريس الفقه على المذهب المالكي في مدارس دمشق كالزاوية المالكية في الجامع الأموي، منهم الشيخ زين الدين عبد السلام المذكور، كان من الثقات العدول، برع في علوم القرآن الكريم والفقه، وأضحى حامل لواء المالكية ومفتيهم، أنتقل شاباً من المغرب الى مصر طالباً للعلوم، ومنها تحوّل إلى دمشق سنة (٦١٧هـ / ١٢٢٠م)، واستقرّ فيها، ثمّ عُيِّن في منصب قاضي القضاة المالكية مكرهاً، وهو أول من تولّاه بدمشق، ثمّ عزل نفسه بعد تسع سنوات، واستمر بعدها في الافتاء، والتدريس في الزاوية المالكية<sup>(٢)</sup>.

ثم استلم بعده وظيفة التدريس في الزاوية المالكية ابنه الشيخ الفقيه جمال الدين أبو يعقوب يوسف بن عبد السلام الزواوي (ت ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م)، كان من فضلاء الدماشقة، قليل التكلّف والتكليف، تولّى نيابة القضاء عن والده، وبعد وفاته صار قاضياً للقضاة المالكية بدمشق لمُدّة ثلاث سنوات<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن المبرد، جمال الدين يوسف بن حسن (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م)، الجوهر المنضد في طبقات

متأخري أصحاب أحمد، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط ١، مكتبة العبيكان (الرياض: ٢٠٠٠م): ٢١ / ١ .

(٢) الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط ١، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٧م): ص: ٣٦٤ .

(٣) النعيمي، الدارس: ٤ / ٢ .



رابعاً: علم الطب :

حظي علم الطب بالعناية الكبيرة في دمشق، فشيّدت بها ثلاث مدارس للطب فضلاً عن البيمارستان النوري الذي أقامه السلطان نور الدين محمود زنكي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م)<sup>(١)</sup>، وكانت هذه المدارس لها دور في استقطاب الاسر العلمية المتخصصة بعلم الطب، حيث أهتمت هذه الاسر بوظيفة تدريس الطب في تلك المدارس، منها أسرة الشيخ الطبيب ابو يوسف حيدرة بن حسن الرّحبي، من علماء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وأسرته أصلها من الرحبة في بلاد الجزيرة<sup>(٢)</sup>، وقد حرص الشيخ حيدرة على تعليم ابنه علم الطب وهو الشيخ الطبيب رضي الدين أبو الحجاج يوسف بن حيدرة الرّحبي الدمشقي (ت ٦٣١هـ / ١٢٣٣م)، وُلِد في الجزيرة، ثم انتقل مع ابيه الى نصيبين، ثم الرحبة، ومنها تحوّل إلى دمشق مقيماً فيها، كان متفتناً بعلم الطب، كثير التحقيق فيه، عالي الهمة، أفاد بعلمه أهل دمشق، فكان معالماً لهم في البيمارستان النوري، ومدّرّسهم في المدرسة الدخوارية الطّبيّة، فتخرّج على يده كبار أطباء المسلمين في دمشق والمدن الاخرى<sup>(٣)</sup>.

ثم تقلّد بعده وظيفة تدريس علم الطب في الدخوارية أبنة الشيخ الطبيب الشاعر شرف الدين ابو الحسن علي بن يوسف الرّحبي الدمشقي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)، أخذ الطب عن أبيه فبرع فيه وأتقنه، وأضحى شيخ الاطباء وكبيرهم بدمشق، أمّا تدريسه في الدخوارية فكان بوصيّة من واقفها الشيخ الطبيب مهذب الدين ابو محمد عبد الرحيم بن علي الدخوار (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م)<sup>(٤)</sup>، وكان يقول الشعر فمن أبياته<sup>(٥)</sup>:

ساق بنو الدنيا إلى الحتف عنوة لا يشعر الباقي بحالة من يمضي'

(١) النعيمي، الدارس: ٢ / ١٠٠، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨ .

(٢) السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٧م)، الأنساب، تح: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الجنان (د.م: ١٩٨٨م): ٦ / ٨٩.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث (القاهرة: ٢٠٠٦م): ١٦ / ٢٦٧؛ النعيمي، الدارس: ٢ / ١٠٠.

(٤) النعيمي، الدارس: ٢ / ١٠٠.

(٥) النعيمي، الدارس: ٢ / ١٠٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٧ / ٥٦٩.

«أنهم الأنعام في جهل بعضها» ما تمّ من سفك الدماء على بعض'

### المبحث الثالث: واقف المؤسسة التعليمية ودوره في التعيين لوظيفة التدريس:

لم يكن النظام الاداري والمالي والتعليمي في المدارس الدمشقية ابّان المدّة محور الدراسة يستند إلى ضوابط وتعليمات مركزية موضوعة من قبل السلطة الحاكمة في دمشق، وذلك لأن المدارس قد شُيّدت أو وُقفت من قبل أفراد لا حكومات، وعلى نفقتهم الخاصة لا على نفقة الدولة، وفي نفس الوقت وَضَع هؤلاء البُناة أو الواقفين كتباً ضمّتوها الضوابط والتعليمات والشروط التي ستسير عليها مؤسساتهم العلمية التي استحدثوها، وكان من بين تلك الشروط التي وضعوها كقانون لمدارسهم أن تكون وظيفة فيها التدريس فيها باسم الواقف وعلماء أسرته، أو باسم شيخ معيّن ولذريته المؤهلين لوظيفة التدريس من بعده، فكان لذلك أثراً مباشراً في بقاء هذه الوظيفة محصورة داخل البيت العلمي الواحد، فمن هذه المدارس التي شُيّدت وفق هذا الشرط :

#### أولاً: المدرسة البلخية:

بناها الامير كرز الدقاقي بعد سنة (٥٢٥هـ / ١١٣٠م) بدمشق، وعرفت قديماً بدار ابي الدرداء رضي الله عنه، وكذلك بخربة الكنيسة، وقد جعلها وقفاً باسم الشيخ المحدث الفقيه الواعظ القاضي برهان الدين ابو الحسن علي بن الحسن البلخي الأصل الدمشقي (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، ونسبة له عرفت بالبلخية، وكان البرهان الشيخ البلخي ذا جلاله ووجاهة، وقد تولّى وظيفة تدريس البلخية، ومن ثم ولده من بعده شمس الدين محمد<sup>(١)</sup>.

#### ثانياً: المدرسة الحنبلية الشريفة :

أنشأها بدمشق الشيخ المفسّر الواعظ الفقيه شرف الإسلام عبد الوهاب بن عبد الواحد الأنصاري الحنبلي الشيرازي الاصل الدمشقي (ت ٥٣٦هـ / ١١٤١م)، شيخ الحنابلة في الشام، كان ذا حرمة وسؤددٍ ورئاسة وهيبة، ألّف كتاب (المنتخب في الفقه)، و(المفردات)، و(البرهان

(١) الذهبي، سير : ١٥ / ٨٥؛ النعمي، الدارس: ١ / ٣٦٨.

في أصول الدين)، أمّا مدرسته الحنبلية الشريفة فإنه وقفها باسمه ولأفراد بيته، فتولّى وظيفة التدريس فيها خمساً من شيوخ بيته وهم :

الشيخ المحدث الفقيه نجم الدين ابو العلاء بن عبد الوهاب بن الحنبلي الشيرازي الدمشقي (ت ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) ابن الشيخ شرف الاسلام عبد الوهاب، كان محترماً ومعظماً بين الناس أفتى لهم ستين سنة<sup>(١)</sup>.

ثم تقلدها من بعده أبوه الشيخ المسند الفقيه شهاب الدين ابو الفضائل عبد الكريم بن النجم ابو العلاء بن عبد الوهاب بن الحنبلي الشيرازي الدمشقي (ت ٦١٩هـ / ١٢٢٢م)، أبرع أهل بيته بالفقه والمناظرة، وكان بصيراً بأحكام القضاء، شهماً قوياً<sup>(٢)</sup>.

ودرس في المدرسة الحنبلية أيضاً أخوه الشيخ الراوي الفقيه الواعظ المؤرخ المصنّف ناصح الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن النجم ابو العلاء بن عبد الوهاب بن الحنبلي الشيرازي الدمشقي (ت ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م)، جاب البلاد الاسلامية طالباً للعلوم وواعظاً فيها، نال القبول التام، كما حظي بحرمة عظيمة عند السلاطين والملوك، وخصوصاً سلاطين بني أيوب، وانتهت إليه رئاسة المذهب بدمشق، ومن تصانيفه كتاب (أسباب الحديث)، و(الإنجاد في الجهاد)، و(تاريخ الوعّاظ)<sup>(٣)</sup>.

ثم تولّى تدريسها أبن اخيه الشيخ المحدث الفقيه تاج الدين أبو منصور المظفر بن عبد الكريم بن النجم ابو العلاء بن الحنبلي الشيرازي الدمشقي (ت ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م)، كان حسن المعرفة، مفتياً عارفاً بالمذهب، لكنه أشتهر بالحديث الشريف أكثر من الفقه<sup>(٤)</sup>.

ثم درس فيها أبن عمّه الشيخ المحدث سيف الدين يحيى بن الناصح ابو الفرج عبد الرحمن بن الحنبلي الشيرازي (ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م)، جدّ في طلب الحديث فسمعه من مشايخ بغداد والموصل ثم أسمعه في دمشق ومصر<sup>(٥)</sup>.

(١) النعمي، الدارس: ٥٣ / ٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٤٦٩ / ٦.

(٢) ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م)، نيل طبقات الحنابلة، تح: عبد

الرحمن بن سليمان العثيمين، ط ١، مكتبة العبيكان (الرياض: ٢٠٠٥م): ٢٧٥ / ٣.

(٣) ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٢٨٨ / ٧.

(٤) النعمي، الدارس: ٥٦ / ٢.

(٥) ابن مفلح، المقصد: ١٠٠ / ٣.

## ثالثاً: المدرسة العزيزية :

تشير الروايات التاريخية أن هذه المدرسة كانت داراً للأمير اسامة بن منقذ الكناني (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م)، فأمر الملك العزيز أبو الفتح عثمان بن يوسف الايوبي (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٨م)<sup>(١)</sup>، قاضي القضاة الشيخ المحدث الفقيه المنشي الخطيب محيي الدين ابو المعالي محمد بن علي بن الزكي القرشي الدمشقي (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م) أن يبنها مدرسة، وأوكل إليه وظيفة التدريس فيها، فكان أول من درس بها<sup>(٢)</sup>، ثم تولاها من بعده علماء بيته منهم أولاده الثلاثة كما ذكر المؤرخ عبد القادر النعيمي قائلاً: (( ٠٠٠ ثم ولده علاء الدين ثم ولده الآخر زكي الدين ثم من بعده ولده الآخر بهاء الدين ))<sup>(٣)</sup>، فما يخص تدريس ولداه علاء الدين وبهاء الدين في هذه المدرسة، فإن النعيمي قد انفرد وحده بسرد هذه الرواية، ولم يذكر ترجمة لحياتهما في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس)، فضلاً عن عدم ذكرهم في المصادر التاريخية الاخرى، أما ولده الثالث فهو الشيخ المحدث الفقيه قاضي القضاة بدمشق زكي الدين أبو العباس الطاهر بن محيي الدين ابو المعالي محمد بن الزكي القرشي الدمشقي (ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م)، تولى تدريس المدرسة العزيزية بعد أخوه علاء الدين، ومن خصاله أنه كان مهيباً حازماً في الأحكام، تعتليه الرياسة والوقار<sup>(٤)</sup> .

ثم تولى بعده تدريس العزيزية ابن اخي زكي الدين الطاهر وهو الشيخ المحدث الأديب القاضي علاء الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن الزكي القرشي الدمشقي (ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م)، كان رئيساً فاضلاً تخرّج على يد مشايخ بغداد في الحديث الشريف، وكفاءته تولى كتابة ديوان الانشاء بدمشق، ونيابة القضاء فيها عن أبيه قاضي القضاة محيي الدين ابو المفضل يحيى بن الزكي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)<sup>(٥)</sup>.

(١) الذهبي، تاريخ: ١٢ / ١٠٣٣ .

(٢) النعيمي، الدارس: ١ / ٢٩٠ - ٢٩٥ .

(٣) الدارس: ١ / ٢٩٥ .

(٤) ابن الصابوني ، محمد بن علي (ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م)، تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء

والألقاب، دار الكتب العلمية (بيروت: د.ت): ص ٩٠؛ الذهبي، تاريخ: ١٣ / ٤١٣ .

(٥) الصفدي، الوافي: ٨ / ١٦٢ .

ثم تولّاهما من بعده أخيه الشيخ المسند الفقيه المؤرّخ قاضي القضاة بهاء الدين أبو الفضل يوسف بن يحيى بن محمد بن الزكي القرشي الدمشقي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، كان نبيلاً، حسن الشكل، ذكياً، بارعاً في العلوم، متبصراً بالفقه وأخبار الماضين، مفوهاً ذو ملكة عالية في الحفظ، حلّو المحاضرة في درسه<sup>(١)</sup>.

ثم استلم وظيفة تدريس العزيزية أخوه الشيخ الفقيه عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن يحيى بن محمد بن الزكي القرشي الدمشقي (ت ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م)، كان من صدور الرؤساء، تصدّى للافتاء، كما تولّى نظر الجامع الاموي والقضاء بدمشق<sup>(٢)</sup>.

ثم تولّاهما حفيد الشيخ بهاء الدين يوسف المذكور سلفاً، وهو الشيخ المحدث محيي الدين محمد بن محمد بن يوسف بن الزكي القرشي (ت ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م)<sup>(٣)</sup>، ومن بعده الشيخ المعمّر كمال الدين محمد بن القاضي محيي الدين بن الزكي القرشي (ت ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م)<sup>(٤)</sup>. ومما تقدّم تبين أن المدرسة العزيزية التي أنشأها الملك العزيز عثمان قد تولّوا وظيفة التدريس فيها تسعة من علماء بيت ابن الزكي .

#### رابعاً: المدرسة المسمارية :

نشأت هذه المدرسة على عهد نور الدين زكي، وأوقفها الشيخ التاجر حسن بن مسمار الهلالي المنوفي سنة (٥٤٦هـ / ١١٥١م)، لتستمر في العهد الأيوبي، ويتولّى التدريس فيها الشيخ المحدث الفقيه وجيه الدين أبو المعالي أسعد بن المنجّ بن بركات المعري الاصل الدمشقي (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٦م) وفقاً بإسمه، ومن بعده لأفراد بيته، وأكد ذلك الذهبي قائلاً: ((ومن أجله بنى الشيخ مسمار المدرسة ووقفها عليهم))<sup>(٥)</sup>، فكان الشيخ الوجيه أوّل من درّس

(١) الذهبي، تاريخ: ١٥ / ٥٦٤.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٧ / ٧٨٥.

(٣) النعمي، الدارس: ١ / ٢٩٨.

(٤) الذهبي، العبر: ٤ / ١٣١.

(٥) تاريخ: ١٣ / ١٢٩.

بها، وهو صاحب كتاب (النّهاية في شرح الهداية)، و(الخلاصة) في الفقه<sup>(١)</sup>، ثم أعطى تدريسها لأبنة الشيخ المقرئ المحدث الفقيه القاضي شمس الدين أبو الفتوح عمر بن أسعد بن المنجّا المعريّ الدمشقي (ت ٦٤١هـ / ١٢٤٣م)، كان صدرًا نبيلًا، بارعًا في الفقه، بصيرًا بغوامض الأمور، عارفًا بأحكام القضاء والشروط<sup>(٢)</sup>، وقد شاركه في تدريس هذه المدرسة أخوه الشيخ المسند الفقيه عز الدين أبو عمر عثمان بن أسعد بن المنجّا المعريّ الدمشقي (ت ٦٤١هـ / ١٢٤٣م)، أحد فضلاء بيت ابن المنجّا وعدوله<sup>(٣)</sup>.

ثم تولّاها من بعده تدريس المسمارية أيضاً الشيخ المحدث وجيه الدين أبو المعالي محمد بن العز عثمان بن المنجّا الدمشقي (ت ٧٠١هـ / ١٣٠١م)، ناظر الجامع الأموي، وواقف دار القرآن الكريم بدمشق، ومن صفاته كان صاحب هيبة وحرمة، متديناً، متصدّقاً، باراً بالفقراء، ثم تنازل عن تدريس المسمارية لابنه الذي توفي في حياته وهو الشيخ المحدث الفقيه شمس الدين أحمد بن محمد بن عثمان بن المنجّا المعريّ الدمشقي (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م)<sup>(٤)</sup>، أمّا الأخير فقد وُصف بحسن المنظر، ذو ديانة وانقطاع عن الخلق<sup>(٥)</sup>.

ثم أخذ تدريسها ابن عم الشيخ شمس الدين أحمد وهو الشيخ المحدث الفقيه شرف الدين أبو عبد الله محمد بن المنجّا بن عثمان بن أسعد بن المنجّا الدمشقي (ت ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م)، كان من الصلحاء المتواضعين، كيساً حسن الفهم، صاحب تقوى وغيرة علم، حدّث بدمشق فسمعه كبار مشايخها<sup>(٦)</sup>.

وتولّى بعده وظيفة تدريس المسمارية الشيخ عز الدين محمد بن أحمد بن محمد بن المنجّا الدمشقي (ت ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م) وهو ابن الشيخ شمس الدين أحمد المتقدم عرضه، ومن صفاته أنه كان طيّب الأخلاق، خيراً، وسيماً ذا برة حسنة، نال رضا واستحسان السلطة في

(١) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)، تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م: ١٩٩٥م): ١٣ / ٣٩٣.

(٢) ابن رجب، نيل: ٣ / ٤٩٠.

(٣) ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٧ / ٣٦٦.

(٤) ابن رجب، نيل: ٤ / ٣٣٣ - ٣٣٤.

(٥) النعيمي، الدارس: ٢ / ٩٣.

(٦) ابن رجب، نيل: ٤ / ٤٥٩.

دمشق فأسندت إليه حسبته ونظر جامعها الأموي<sup>(١)</sup>.

وممن تولى تدريسها أيضاً الشيخ المحدث الفقيه علاء الدين أبو الحسن علي بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا الدمشقي (ت ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م) حفيد الشيخ عز الدين أبو عمر عثمان المتقدم عرضه، أخذ الفقه عن أبيه، وتولى قضاء الحنابلة بدمشق<sup>(٢)</sup>.

ثم درس بعده في المسمارية ابن أخيه الشيخ المسند الفقيه نائب القضاء بدمشق صلاح الدين أبو البركات محمد بن محمد بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا الدمشقي (ت ٧٧٠هـ / ١٦٣٨م)<sup>(٣)</sup>.

وبالشيخ صلاح الدين محمد تاسع من تولى تدريس المدرسة المسمارية من هذه الأسرة، تكتفي الدراسة بعرض الشواهد عن أثر الواقف في التعيين لوظيفة التدريس وحصرها بين أفراد الاسر العلمية الدمشقية وما بقي منها تعذر حصره في هذا المبحث، لضيق المقام بالمقال.

#### المبحث الرابع: تنافس الاسر العلمية على وظيفة التدريس في مدارس دمشق :

أنجبت واستقبلت مدينة دمشق العشرات من الأسر العلمية خلال المدّة مدار البحث، ولعظيم أهمية وظيفة التدريس تنافست تلك الأسر على حصر هذه الوظيفة بين أفرادها دون التفريط بها، وبالتالي أنّ وجود مثل هكذا عدد كبير من الأسر العلمية، وما امتلكته من سمة الحرص العالي على تقلّد وظيفة التدريس، خلق ذلك جوّاً من التنافس بينها على هذه الوظيفة داخل المدارس الدمشقية، فكان من صور هذا التنافس وما تبلور عنها:

#### أولاً: تدريس الاسرة في أكثر من مدرسة :

سردت المصادر التاريخية الكثير من الشواهد التي تتحدّث عن تقلّد علماء الاسرة الواحدة لوظيفة التدريس في أكثر من مدرسة، فمن هذه الأسر :

• أسرة الشيخ الفقيه نقى الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي الدمشقي

(١) الذهبي، العبر: ٤/ ١٣٨؛ النعمي، الدارس: ٢/ ٩٣ .

(٢) النعمي، الدارس: ٢/ ٣٢ .

(٣) ابن حجر العسقلاني، الدرر: ٥/ ٥١٠ .

(ت ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م)، وهي اسرة علمية دمشقية أصلها من مصر، تولّى علماءها وظيفية التدريس في أكثر من مدرسة دمشقية، منهم الشيخ تقي الدين علي المذكور، أشهر رجال هذه الأسرة، حصل الكثير من العلوم، كال تفسير والقراءات والحديث الشريف والشعر والنحو والعطارة فضلاً عن علم الفقه الذي أتقنه، فكان المدقق المحقق المناظر فيه، تولّى تدريس المدرسة المسرورية، والعدالية الكبرى، والشامية البرّانية، والغزالية، والاتابكية، والركنية الجوانية الشافعية بدمشق<sup>(١)</sup>.

ثمّ جاء بعده ابنه الشيخ المحدث الفقيه تاج الدّين أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي الدمشقي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)، قدم دمشق مع والده، فأخذ العلوم عنه وعن مشايخها، وأجيز بالرواية، والإفتاء، والتدريس، وناب عن أبيه في القضاء، ثمّ استقل به قاضياً للقضاة في دمشق، فضلاً عن خطابة الجامع الأموي، أمّا تداريسه فإنه أخذ عن أبيه تدريس المدرسة المسرورية، والعدالية الكبرى، والشامية البرّانية، والغزالية<sup>(٢)</sup>.

وكذلك الشيخ الفقيه النحوي بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكي الدمشقي (ت ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م)، تتلمذ على يد الشيخ تقي الدين السبكي ابن عم أبيه الشيخ سديد الدين عبد البر، وغدى من أعيان الدماشقة، فعُيّن على قضاء دمشق، ثمّ طُلب لقضاء مصر، وعاد منها على وظيفته الاولى بدمشق، فضلاً عن خطابة المسجد الأموي، وورث عن شيوخ اسرته تدريس المدرسة الغزالية، والعدالية الكبرى، والاتابكية، فضلاً عن تدريسه في مدارس اخرى كالرواحية، والقيمرية، والناصرية الجوانية، والظاهرية البرّانية، ودار الحديث الاشرافية<sup>(٣)</sup>.

ثمّ استلم بعده وظيفة التدريس ابنه الشيخ الفقيه بدمشق الخطيب ولي الدين أبو ذر عبد الله بن محمد السبكي (ت ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م)، تتلمذ على والده وغيره بدمشق، فاشتغل بالإفتاء والتدريس، واسند إليه منصب قاضي القضاة بدمشق سنة (٧٧٠هـ / ١٣٦٨م)، وبقي فيه لمدة ثمان سنوات ونصف، كما تقلّد وظيفة وكالة بيت المال، أمّا دوره في التدريس فقد أخذ عن

(١) النعمي، الدارس: ١/ ٢٧، ١٠٠، ٢١٤، ٢٧٧، ٣٢٢، ٣٤٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٨/

٣٠٨.

(٢) ابن قاضي شهبه، طبقات: ٣/ ١٠٤.

(٣) ابن قاضي شهبه، طبقات: ٣/ ١٢٧.



والده تدرّس مدارسَه وهي: المدرسة القيمرية، والرواحية، والأتابكية، ودار الحديث الاشرافية<sup>(١)</sup>. وتولّى وظيفة التدريس أيضاً أخوه الشيخ المحدث النحوي الخطيب بدر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد السبكي (ت ٨٠٣هـ / ٤٠٠م)، تفقه بأبيه وغيره، له إطلاع في النحو والمعاني والبيان، ولي خطابة الجامع الأموي، كما تولّى القضاء نيابة في مصر، ثم استقل بقضاء دمشق بعد موت أخيه ولي الدين عبد الله، ومن صفاته أنه كان انساناً عاقلاً ديناً ذا حشمة ورياسة، عديم الشر، فاضلاً وحليماً، حسن المحاضرة مع قلة مطالعته، وقد تسلّم عن أبيه وأخيه تدرّس المدرسة الأتابكية، والرواحية، والغزالية<sup>(٢)</sup>.

ثم جاء بعده ابنه الشيخ المقرئ جلال الدين محمد بن محمد بن محمد السبكي (ت ٨١٤هـ / ٤١١م)، طلب العلم في صباه، فاخذ عن ابيه القراءات، وبعضاً من النحو، تميّز بجمال الصورة والإقدام والجرأة، تولّى مشيخة الاقراء بعدة مدارس، وكان يخطب بجامع التوبة خطباً حسنة بقراءة جيّدة، وأخذ عن أبيه تدرّس المدرسة الأتابكية<sup>(٣)</sup>.

#### ثانياً: تدرّس أكثر من اسرة داخل المدرسة:

تهافتت الاسر العلمية على المدارس الدمشقية كصورة من صور التنافس بينها لتولّي وظيفة تدرّس العلوم فيها، فمن هذه المدارس :

١٠ المدرسة الأمينية : واقفها الأمير أمين الدين والدولة كمشتكين بن عبد الله الطغتكيني (ت ٥٤١هـ / ١٤٦م) أتابك عسكر دمشق، ونائب قلعتي بصرى وصرخد<sup>(٤)</sup>، تولّت وظيفة تدرّس العلوم فيها عدداً من الاسر العلمية منها :

• أسرة الشيخ المحدث المفسّر الاصولي جمال الإسلام علي بن المسلم بن محمد السلمي الدمشقي (ت ٥٣٣هـ / ١٣٨م)، أحد أعلام الشام ومشايخها، كان عالماً بالتفسير، والفرائض والأصول، إماماً ثبتاً ثقةً متقناً، حسن الخط، عمدة أهل الشام في فتاويه، صنّف في

(١) النعيمي، الدارس: ٣٠ / ١.

(٢) السخاوي، الضوء : ٨٨ / ٩.

(٣) النعيمي، الدارس: ١٠٢ / ١.

(٤) الذهبي، تاريخ: ٧٧٧ / ١١.

التفسير والفقه، وولّي تدريس المدرسة الأمينية سنة (٥١٤هـ / ١١٢٠م)<sup>(١)</sup>.  
ثمّ جاء بعده ابنه الشيخ الواعظ الفقيه أبو بكر محمد بن علي السلمي الدمشقي  
(ت ٥٦٤هـ / ١١٦٨م)، أخذ الحديث الشريف والفقه عن والده، وأمتاز بحسن الخلق وقلة  
التصنع، تقلّد نيابة القضاء بدمشق، وخطابتها، وبعد وفات أبيه تولّى وظيفة تدريس المدرسة  
الأمينية<sup>(٢)</sup>.

وتولّى بعده وظيفة تدريس الامينية ابنه الشيخ المحدث الفقيه شرف الدين أبو الحسن علي  
بن محمد السلمي الدمشقي (ت ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م)، سمع الحديث الشريف من مشايخ دمشق  
وبغداد، وحدث فيهما وفي مصر، وأهتم أيضاً بطلب الفقه فأضحت له اليد الطولى بالمذهب  
والخلاف، وكان فصيحاً في دروسه حسن العبارة، توفي والده فأخذ عنه وظيفة تدريس  
الأمينية<sup>(٣)</sup>.

• أسرة الشيخ عز الدين حمزة بن أحمد بن حمزة الحسيني الدمشقي الاصل (ت ٨٧٤هـ/  
١٤٦٩م)، نشأ بدمشق وأخذ علومه منها وغيرها من البلدان الإسلامية، كالإقراء، والحديث  
الشريف، والفقه، والنحو، والمنطق، وتقلّد عدّة مناصب بدمشق وهي نيابة القضاء، وتصدير  
جامع بني امية، ورئاسة المؤذنين فيه، فضلاً عن تولّيه وظيفة التدريس في المدرسة  
الأمينية<sup>(٤)</sup>.

ثمّ جاء بعده ابنه الشيخ الفقيه الاصولي كمال الدين محمد بن حمزة بن حمزة الحسيني  
الدمشقي (ت ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م)، أخذ علومه من أبيه وغيره من الشيوخ، حتى صار أحد  
العلماء المعولّ عليهم بدمشق في الفقه والأصول والعربية، وتقلّد منصب إفتاء دار العدل، كما

(١) تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو،

ط ٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع (د.م: ١٩٩٢م): ٧ / ٢٣٥ .

(٢) ابن كثير، طبقات الشافعيين، تح: احمد عمر هاشم ومحمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية

(د.م: ١٩٩٣م): ص ٦٧٠ .

(٣) الذهبي، تاريخ: ١٣ / ٦٦ .

(٤) النعيمي، الدارس: ١ / ١٥٢ .

كما تقلّد بعد والده وظيفة تدريس المدرسة الأمينية، فقصده الطلبة إليها<sup>(١)</sup>.

٠٢ المدرسة الغزالية : أو الزاوية الغزالية في الجامع الأموي، المنسوبة للشيخ الكبير ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م)<sup>(٢)</sup>، تولّت وظيفة التدريس فيها جملة من الأسر العلمية الدمشقية منها :

- أسرة الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد الدولعي الموصلبي العراقي الاصل الدمشقي (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م)، أحد أعلام الفقه المشهورين، تفقه ببغداد، ثمّ قدم دمشق شاباً طالباً للعلم، فأستوطنها وصار من رؤسائها، اسندت إليه خطابة المسجد الأموي، فضلاً عن تدريس المدرسة الغزالية فيه<sup>(٣)</sup>.

ثمّ جاء بعده ابن أخيه الشيخ المحدث الفقيه جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل بن زيد الدولعي الدمشقي (ت ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م)، وُلد في قرية الدولعية بالموصل، ثمّ رحل إلى دمشق، فتفقه على عمّه الشيخ ضياء الدين الدولعي، وقد أخذ عنه خطابة الجامع الأموي، وكذلك وظيفة تدريس الغزالية<sup>(٤)</sup>.

- أسرة الشيخ الفقيه عماد الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن عبد الصمد الحرستاني الدمشقي (ت ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م)، كان من جلة الشيوخ، صاحب وقار وسمت وتواضع، تتلمذ على والده في الفقه، وأشتغل بالإفتاء والمناظرة، وعُيّن قاضياً للقضاة بدمشق بعد وفاة أبيه، وتولّى الخطابة، فضلاً عن تدريس المدرسة الغزالية<sup>(٥)</sup>.

ثمّ جاء بعده أبنه الشيخ المحدث الفقيه الخطيب محيي الدين أبو حامد محمد بن عبد الكريم الحرستاني الدمشقي (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، كان نبياً فاضلاً شاعراً، ملازماً بيته، طيّب

(١) النعمي، الدارس: ١ / ١٥٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: ١٠٠ / ٢٧١.

(٢) النعمي، الدارس: ١ / ٣١٣ .

(٣) ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)، طبقات الفقهاء الشافعية،

تح: محيي الدين علي نجيب، ط١، دار البشائر الإسلامية (بيروت: ١٩٩٢م): ٢ / ٥٧٠ .

(٤) الذهبي، تاريخ: ١٤ / ١٩٢ .

(٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٧ / ٥٣٦ .

الصوت في الخطبة، أستلم بعد أبيه منصب قضاء القضاة، ووظيفة تدريس الغزالية بدمشق<sup>(١)</sup>. وكذلك الشيخ تاج الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الحرساني الدمشقي، أحد شيوخ القرن السابع الهجري، كان ينوب عن والده الشيخ محيي الدين محمد في الخطابة، والتدريس في الغزالية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ابن كثير، طبقات : ص: ٩٣٢ .

(٢) النعيمي، الدارس: ١ / ٣٢٠ .

الخاتمة :

وفي خاتمة البحث توصلت الدراسة إلى مجموعة نتائج أهمها :

- ٠١ ان واقف المؤسسة التعليمية أو مشيّدتها هو أحد الجهات المخوّلة بالتعيين لوظيفة التدريس .
- ٠٢ المتعین في وظيفة التدريس هو صاحب وظيفة اخرى كأن يكون قاضياً او محتسباً او ناظراً للوقف وغيرها، ولكن تبين ان هذه الوظيفة هي الوحيدة التي اهتم بها العلماء واستمروا في مزاولتها، وبالتالي فهي تعد الوظيفة الرئيسة أمام الوظائف الثانوية الاخرى التي يمتلكها العالم، بل هي المحور الرئيسي التي تدور حوله الوظائف الاخرى بدمشق.
- ٠٣ ظهور اسر علمية متماسكة أمتدّ إسهامها التعليمي لأكثر من ١٥٠ سنة .
- ٠٤ هناك شيوخ تولّوا وظيفة التدريس بصفة مدرّس ونائب مدرّس في نفس الوقت ، وهذا يعني ان المرتبتين لها نفس المنزلة العلمية .
- ٠٥ انّ بقاء وظيفة التدريس داخل الاسرة العلمية الواحدة تجسيدا عمليا حياّ لصلة الارحام، والتعاقد بين أفرادها.
- ٠٦ العامل المباشر في سمو وظيفة التدريس وبقاؤها برفعتها هي الاسرة التي حرصت على تربية افرادها تربية علمية خالصة، والشاهد تتلمذ أغلب المدرّسين على يد آباؤهم وأجدادهم .
- ٠٧ أنّ المكانة العلمية العالية التي تمتعت بها الاسر الدمشقية كانت السبب في اختيارها لوظيفة التدريس في مدارس دمشق، ولم يكن للمحسوبية مكان عند الشروع بعملية الاختيار، وان دلّ هذا على شيء فهو يدل على مدى حرص أصحاب هذه المدارس في ترصين العملية التعليمية فيها، والحفاظ على سلامتها من وباء المجاملات والتنازلات على حساب العلم وأهله.

## ***Teaching job in Damascus schools during the Ayyubid and Mamluk periods***

Lect.Dr. Riad Salim Awad

### **Abstract**

*The scientific life in the city of Damascus greatly developed during the time of the Ayyubids and Mamluks, and this city became a center of science, the light of which extended to the most distant Muslim country, the most important reason for this scientific development was the presence of many educational institutions in Damascus during the rule of these two countries, such as the mosques, which numbered about (629), the houses of the Noble Qur'an and the noble hadith, which were numbered (26), in addition to (127) schools of jurisprudence, three schools of medicine, and dozens of other educational institutions such as al Ribat, al khanqah, al zzawiyya, as well as graves (turba), it is necessary to employ this large number of schools with a larger number of teachers, so the teaching job has gained great importance among those responsible for education in Damascus, and this city is also distinguished by having dozens of scientific families, who its scholars held the teaching position from one generation to the generation, and this is also one of the reasons for the development of educational schools, which have maintained their scientific sobriety for several centuries, due to the fact that this job remains in the hands of its scholars throughout those years.*

**Key words:** *Job, teaching, school, Damascus, Ayyubid, Mamluks.*